# ماذا يريد منا..

# الإمام الكاظم عليه السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

سورة يونس / الآية ٣٥



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد المصطفى وعلى آهل بيته الطيبين الطاهرين..

إن الحديث عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام متشعب وطويل، وله أبعاد كثيرة ولا يمكن أن تحصر عند حد أو توقف عند أمد، ولكن النقطة التي سوف نسلط الضوء عليها، والتي هي ظاهرة بارزة في حياته وحياة آبائه وأبنائه عليهم السلام، والتي لا تخفى عن أعمى فضلاً عن بصير، والتي تمثل معلماً ومنهجاً في حياتهم، هي الأساليب التي استخدمها الأمام الكاظم عليه السلام للمواجهة، ونعني بها مواجهة الظالمين والوقوف في وجههم والتصدي لظلمهم، وإبعاد الناس عنهم وزرع ا لجرأة في قلوبهم على مواجهتهم، وهذا هو السبب الذي دعى أولئك الظالمين للانتقام منه والتضييق عليه وإيداعه السجون والزنزانات حتى تم قتله بالسم.

وهذا يكشف عن الصدق الذي عاشه الأئمة، فلم يداهنوا ولم يجاملوا وحتى التقية التي كانوا يعيشونها إنما هي أسلوب من أساليب المواجهة للباطل والظالم ونصرة الحق،

ولو تدبر الإنسان في كثير من المواقف لانكشفت له الحقيقة.. ومواجهة الأئمة عليهم السلام للظالمين تكشف عن حقيقة التوكل على الله والثقة به التي عاشوها بحيث لم يدخلهم خوف من التصدي لهؤلاء مهما ملكوا من القدرات العسكرية والمالية والإعلامية لأنهم يلتجئون إلى الله عز وجل، ومواجهتهم تكشف عن حقيقة الإعراض عن هذه الدنيا والزهد فيها وعدم الميل إليها والحرص على تحصيلها، حيث كلفتهم تلك المواجهة أبسط الحقوق وحرمتهم من كثير من نعيمها الزائل.

فها هو موسى بن جعفر عليه السلام يعيش في السجون بعيداً عن أهله وأحبته إلى أن يموت مسموماً فيها ويضع نعشه على جسر الرصافة ينادى عليه بنداء الاستخفاف، فلو كانوا يميلون قيد أنملة إلى الدنيا لحصلوا عليها وهم أبصر الناس بطرق الحصول عليها، ولكنهم يستحون أن يطلبوها من خالقها فكيف يطلبونها من مخلوق؟

وعلى كل حال فان أهل البيت عليهم السلام قد تصدوا لمواجهة الظلم بكل ما يتمكنون حتى جاءت الزيارة الجامعة المروية عن إمامنا الهادي عليه السلام لتخبرنا عن الواقع الذي عاشوه :

«وجاهدتم في الله حق جهاده وبذلتم أنفسكم في مرضاته



وصبرتم على ما أصابكم في جنبه وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر»، وها هي مواقف إمامنا الكاظم عليه السلام الذي عاصر من أحب المُلك حباً وصل به إلى درجة يصرح فيها بأن لو نازعه أحد عليه حتى لو كان أحب ولده لقطع الذي فيه عيناه واحتز رأسه!.. ومع هذه الجرأة والتعسف لم يمتنع الإمام الكاظم عليه السلام من التصدي له والعمل للوقوف ضد ظلمه بقدر ما يتمكن، وقد اتبع أساليب مختلفة في ذلك.

في هذا البحث.. سنتناول بعض هذه الأساليب لتكون لنا منهجا في حياتنا خصوصا إذا ما عرفنا ماذا يريد منا هذا الإمام الذي تعرض إلى الظلم في قعر السجون.

## الأسلوب الأول:

من هذه الأساليب هو بيان حرمة العمل معهم وإعانتهم وخطورة تلك الأعمال، وقد أوضح بشاعتها بشكل تقشعر منه الأبدان وترتعد له الفرائص، والملاحظ في ذلك هو أن تلك الخطورة التي أوضحها الإمام الكاظم عليه السلام هي للأعمال التي في ظاهرها يسيرة والتي قد يتصور الناس أنها سهلة يمكن أن يغض النظر عنها، فكيف بها لو كانت خطورة الأعمال هي أكبر وأخطر من تلك؟ وكيف تكون حالة نفس الظالمين وما هو المصير الأسود الذي سيواجههم، فليس فقط أن الإمام لم يرخص للعمل معهم بل زرع في القلوب بغضهم والذي هو مقدمة لحرب هؤلاء، حيث صرح الإمام عليه السلام في ببيان خطورة العمل معهم ويقول إن الحقيقة واحدة، حينما جاء صفوان بن يحيى ا لجمال وكان يؤجر جماله لهارون الرشيد ليذهب بها إلى حج بيت الله الحرام ولم يذهب معه ليخدمه وإنما يبعث معه غلمانه، ولكن فاجأه الإمام بما لا يتوقعه والذي هزّه من الأعماق، والكلمة التي قالها له هي مترتبة على سؤال قدمه الإمام لصفوان، حيث قال عليه السلام: أتحب بقاءهم لحين خروج كرائك منهم؟



قال صفوان: نعم.

فقال عليه السلام: من أحب بقاءهم فهو منهم.

مع أن صفوان من خاصة أصحابه وهو يتصور أنه من أوليائه وشيعتهم وإذا بالإمام يصنفه في عداد الظالمين وليس في عداد العاملين معه، وهذا هو الذي قلنا عنه البيان الذي هو أشد من الأول ولكنه لمن أحبّ بقاءهم ولو ليوم واحد لا لذواتهم وحباً لهم وإنما طمعاً بما يملكون من مال، فكيف بالذي يحبهم لذواتهم، ولذا نهى عن أخذ الهدايا منهم خوفاً من دخول حبهم في القلوب لأن النفوس مجبولة على حبّ من أحسن إليها، ويشدد على قبح العمل معهم، إلا بشرط «عن زياد بن أبي سلمة قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام فقال لي: يا زياد انك لتعمل عمل السلطان؟ قال: قلت: أجل، قال لي: ولم؟ قلت: أنا رجل لي مروة وعلى عيال وليس وراء ظهري شيء، فقال لي: يا زياد لئن أسقط من حالق فأتقطّع قطعة قطعة أحبّ إليّ من أن أتولى لأخذ منهم عملا أو أطأ بساط رجل منهم.. »[1].

---

(١) وسائل الشيعة / الحر العاملي ج ١٢ ص ١٤٠

ففي نظره عليه السلام أن السقوط من حالق جبل وما فيه من العذاب وما يتبعه من ألم أهون من العقاب الذي سيلاقيه الإنسان من أن يضع رجله على بساط واحد منهم، فما هو العقاب المعدّ لهؤلاء الظلمة؟

وبهذا الأسلوب تمكّن الإمام عليه السلام من إخراج الكثير وتخليصهم من العمل معهم وردع الكثير عن التفكير من العمل معهم أو التهاون في الميل إليهم، بل زرع في النفوس بذرة الوقوف في وجوههم فضلاً عن أن هذا تحذير للإنسان من أن يرغب في دنياهم ويحب منهجهم أو يميل أن يكون من أمثالهم.

## الأسلوب الثاني:

الأسلوب الآخر في مواجهة الظلم نصب بعض الوجوه التي لا تتأثر بالدنيا والتي في قلوبها أهمية بالغة با لمحرومين وعندها دقة في العمل، حيث أذن لهم بالعمل في مناصب حساسة في الدولة لتكون بالمرصاد لما يريد أن يفعله الطغاة بالضعفاء وتعمل بقدر ما تستطيع من الدفع عنهم والذب، وعلي بن يقطين خير شاهد على:



استأذن علي بن يقطين الإمام الكاظم عليه السلام في ترك عمل السلطان فلم يأذن له وقال: لا تفعل فإن لنا بك أنسا، ولإخوانك بك عزا، وعسى أن يجبر الله بك كسرا، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه، يا علي كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم اضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثا، اضمن لي أن لا تلقى أحدا من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبدا ولا ينالك حد سيف أبدا، ولا يدخل الفقر بيتك أبدا، يا علي من سر مؤمنا فبالله بدأ وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنّى وبنا ثلّث».[1]

## الأسلوب الثالث:

من تلك الأساليب هو تحمل الكثير من المعاناة من قبل الدولة مع قدرته على التخلص منها، فانه أسلوب لفضح النظام وكشف خزيه وإنه بعيد عن الإسلام تمام البعد وإنهم أعداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وليسوا خلفاء، وهناك الشواهد التي أوضحت أن هذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة حتى في قلوب أصحاب هارون وخاصته، فالإمام قادر على التخلص من

(١) بحار الأنوار/ العلامة المجلسي ج ٤٨ ص ١٣٦

السجن وغير السجن ولكن أراد أن يكشف القناع المزيف لهذا الرجل في بقائه في السجن ويوضح للناس أن هذا لا يحترم عالم ولا يقدر عابد ولا يخلص من شره صاحب خلق ولا يكرم ذرية رسول الله بل لا يؤمن بالله واليوم الآخر حتى أن الجارية التي بعثها هارون لغرض افتتان الإمام وقد جلست فوجدته ساجداً لم يرفع رأسه من سجوده لله تأثرت بالإمام عليه السلام وشمّت شيئاً من عطر عبوديته وحين أخذوها لهارون قالت: ما ذنب هذا الرجل حين أودعته السجن.

وحتى حين قدم هارون إلى المدينة وزار الإمام وواعد الإمام بصلة وقبل الإمام ذلك، فان الإمام يعلم بأنه لا يعطيه ولكنه أراد أن يكشف حقيقته للناس حيث أخذ يعطي للمغنين والمغنيات ولمن لا يعرف بنسب ولا فضل.

## الأسلوب الرابع:

هناك حوادث فعلها الإمام ليعبر عن ضرورة تواصل الإخوان، حيث قال الإمام الكاظم لعلي بن يقطين بعد أن حجبه من الدخول اليه في موسم الحج:

«حجبتك لأنك حجبت أخاك إبراهيم ا لجمال، وقد أبى



الله أن يشكر سعيك، أو يغفر لك إبراهيم ا لجمال» - أي حتى يسامحك إبراهيم- حيث أن علي بن يقطين منع إبراهيم ا لجمال من الدخول إليه وقد جاءه في حاجة، فهذا علي بن يقطين هو مرضي عند الإمام ولكن لأجل هذا الفعل اعترض عليه أشد الاعتراض، فكيف بالذي يذل المؤمنين ويزّج بهم في السجون ويشرّد الكثير منهم، فلا يأوون إلى منزل وقد ملؤوا أقطار الأرض؟ ولذا كان كثيراً ما يوضح حرمة المؤمن عند الله ويؤكد على تكريمه فإن هذا تعريض بالظالمين الذين آذوا المؤمنين واضطهدوهم وأجاعوهم وأخافوهم.

## الأسلوب الخامس:

استعمال القوة في بعض الأحيان لردع الظالم أو لردع الناس عن معونته والاغترار بدنياه، وقصة الساحر الذي جاء به هارون للاستهزاء بالإمام عليه السلام خير شاهد حيث أشار الإمام إلى صورة لأسدين على وسادة بأخذه وقد حصل ذلك، وقام عليه السلام وطلب هارون من الإمام إرجاعه فقال حتى ترجع عصا موسى ما لقفت أتسلط أعداء الله على أولياء الله «[1].

(١) راجع بحار الأنوار: ج٤٨ص٤٢

## من وصايا الإمام الكاظم عليه السلام

رسم الإمام الكاظم عليه السلام منهجاً للإنسان في علاقته بربه وبمجتمعه وبالحياة من حوله.. ونحن إذ نستذكر هذا المنهج، فلكي ننفتح على إمامته في خط تعاليمه ووصاياه وروحانيته وعصمته، لنزداد من خلال معرفتنا التزاماً بخطِّ أهل البيت عليهم السلام وبإخلاصهم وتضحياتهم في سبيل الله، وبمواقفهم أمام الطاغوت..

## طاعة الله

يقول الإمام الكاظم عليه السلام لبعض ولده وهو ينصحه: «يا بنيّ، إيّاك أن يراك الله في معصية نهاك عنها. اعرف مواقع معاصي الله لتبتعد عنها، واعرف أيضاً أنَّ الله تعالى يبغض الذين يعصونه، لأنَّهم يبتعدون عن مواقع رضاه، حاول وأنت تعرف مواقع المعصية ألاَّ يراك الله في معصيةٍ نهاك عنها، لا في كلمةٍ ولا في فعل. وإيّاك أن يفقدك الله عند طاعةٍ أمَرَك بها»، فالطاعات معروفةٌ في ما أمرك الله به وأوجبه عليك، والله تعالى يريد أن يجدك عند مواقع طاعته لتحصل على مواقع رضاه.



وفي وصية أخرى له يقول: «يا بنيّ، عليك با لجدّ، فلا تخرجنَّ نفسك من حدِّ التقصير في عبادة الله عزَّ وجلّ وطاعته، فإنَّ الله لا يُعبد حقَّ عبادته. مهما صلّيت وصمت، لا تحسبنَّ أنَّك أدّيت لله حقَّه وعبدته حقَّ عبادته. وإيّاك والمزاح. والمزاح ليس محرّماً، لكنَّ البعض يغلب المزاح على حياته، بحيث لا تجده إلاّ مزّاحاً في طريقته في الحياة. فإنَّه يُذهب بنور إيمانك ويستخفّ مروءتَك، وإيّاك والضجر والكسل. لا تضجر من عملٍ أو دراسةٍ أو عبادة، وحاول أن تكون الإنسان الذي يجدّد رغبته في ما ينفعه في الدنيا والآخرة فإنَّهما يمنعانك حظَّك من الدنيا والآخرة».

## محاسبة النفس

وكان عليه السلام يراقب الناس، فيراهم يعيشون الغفلة، بحيث يتحرّكون في أعمالهم وأشغالهم وقد نسوا حدود الله وأوامره ونواهيه، وارتكبوا المعاصي في غفلتهم، فكان عليه السلام يقول: «ليس منا مَن لم يحاسب نفسه في كلِّ يوم. يصبح الصباح عليه فيدرس ما عمل في ليله من خير أو شرّ، ويمسي المساء عليه فيدرس ما فعل في نهاره. فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»، فهو يحدّق في نفسه قبل أن

ينسى ما فعل..

ويقول عليه السلام: «لا تستكثروا كثير الخير. إذا عملتم خيراً في عالم العطاء والعبادة وا لجهاد فلا تروه كثيراً. ولا تستقلّوا قليل الذنوب، فإنَّ قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً، وخافوا الله في السرِّ حتى تعطوا من أنفسكم النَصَف، وسارعوا إلى طاعة الله. قبل أن يأتي الوقت الذي لا تستطيعون فيه الطاعة. وأصدقوا الحديث، وأدّوا الأمانة، فإنَّما ذلك لكم، ولا تَدخلوا في ما لا يحلّ، فإنَّما ذلك عليكم».

## علم الناس

يقول عليه السلام: «وجدتُ علم الناس في أربع: أولها: أن تعرف ربَّك، الثانية: أن تعرف ما صنع بك، الثالثة: أن تعرف ما أراد منك، الرابعة: أن تعرف ما يُخرجك عن دينك».

يلخّص هذا الحديث مواقع الثقافة الدينيّة التي تعمّق للمسلم معرفته العقيدية، وتوسّع لديه آفاقها، وتحقّق عنده المناعة الفكريّة ضدّ الانحراف.. فلا بدَّ في النقطة الأولى من معرفة الله في آفاق عظمته، وفي حقائق الألوهيّة التوحيديّة



في عمقها الفكريّ، وفي رحابتها الوجدانية، ليتأكّد الإيمان به في العقل والقلب وفي الحياة، من خلال الحضور الإلهيّ في كلِّ موقع من مواقع الوجود، وهيمنته المطلقة على كلِّ شيء، حتى لا يغيب عن خاطر الإنسان في شيء، ولا يبتعد عن حركته في أيِّ قولٍ أو فعل.

وإذا كانت معرفة الله تعني المعرفة الشاملة التي تشتمل على كلِّ مواقع حكمة الله وتدبيره، فإنّ إرسال الرُّسل واليوم الآخر يدخلان في ذلك من خلال اقتضاء الحكمة والتدبير في ذلك.

أما النقطة الثانية، فإنَّها تتصل بالانفتاح على الله في دائرة النعمة الواسعة التي تتسع باتساع الكون في كلِّ الظواهر والأشياء التي تتصل بحماية وجود الإنسان في نموّه ا لجسدي والعقلي والحركيّ وفاعليته في ما أراده الله منه، ما يجعله مشدوداً إلى الله في كلِّ شيء من خلال الحاجة المطلقة والفقر الشامل، الأمر الذي يثير فيه الشعور بضرورة التفكير في الطريقة الفضلى التي تربطه من ناحية عمليّة بمواقع الشكر الرحبة، بالإضافة إلى ما يربطه به من الناحية التكوينيّة.. وبذلك تتحوّل هذه المعرفة إلى عنصر حيٍّ يمنح الإنسان فكراً موسوعيّاً علميّاً في كلِّ مفردات النِعَم في الحياة من جهة، كما

يمنحه حركةً في الانفتاح على الله في موقع الشكر والعبادة من جهةٍ أخرى.

وأمّا النقطة الثالثة، فتتمثل في معرفة الشريعة بكلِّ دقائقها وتفصيلاتها المتصلة بالخطِّ العام للسلوك الإنسانيّ في كلِّ القضايا العامة والخاصّة في حياته، ليتعرّف من خلال ذلك، ما هي أوامر الله ونواهيه على مستوى النظرية والتطبيق معاً.

وأمَّا النقطة الرابعة، فتتحرّك المعرفة من أجل صيانة الإنسان من الخطِّ المنحرف، أو الخطّ المضادّ في ما يمكن أن يتعرّض له المسلم من تضليلٍ أو انحراف بفعل التيارات الفكريّة المتنوّعة التي تختلف عن الفكر الإسلاميّ في الجذور أو في بعض التفاصيل، لا سيما إذا كان من الممكن تحريكها بطريقةٍ مدروسة مضلّلة، بحيث يختلط فيها الحقّ بالباطل من حيث الصورة، فيقع الاشتباه والانحراف، الأمر الذي يجعل من المعرفة أمراً حيويّاً على مستوى سلامة العقيدة في الخطِّ الخاص والعام.



وقد يكون إغفال التربية الإسلاميّة لاستكمال هذه العناصر من المعرفة في تربية الأجيال الإسلاميّة، هو المسؤول عن كثير من حالات الاهتزاز العقيدي، أو الانحراف الفكري، لفقدان الخطّ الفاصل بين الحقِّ والباطل، ولابتعاد الإنسان في وعيه لله عن وعيه لعلاقة حياته في مفرداتها التفصيليّة بالله، أو في محدوديّة معرفته بالإسلام في شريعته، أو في فقدانه لها بالكامل.

## إدارة الوقت

يوصينا عليه السلام فيقول: «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات؛ ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقاة الذين يعرّفونكم عيوبَكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعةً تُخْلُون فيها للذّاتكم بغير محرّم». يتوجّه الإمام عليه السلام إلى الإنسان، بأنَّ عليه أن يفرّغ وقتاً للصلاة ومناجاة الله، وساعةً لتحصيل معاشه، وأخرى لمعاشرة الإخوان الذين يدلّونه على عيوبه ولا يضخّمون له شخصيته ويحسِّنون له عيوبه، وتبقى له ساعةٌ لغرائزه وشهواته المحلّلة، حيث لا يريد الله سبحانه أن يكبت هذه الغرائز، ويترك اللذّات التي

أحلّها له تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1]

فالله سبحانه لا يريد أن نترك طيّبات الحياة الدنيا، بل أن نترك محرّماتها، وليس الزهد ألا نأكل ونلبس جيّداً، ولكنَّ الزهد، هو أن نتجنّب الحرام إذا أقبل علينا، وأن تكون لنا الإرادة في مواجهته.

ثم يتحدّث الإمام عليه السلام عن الإنسان الذي إذا صلّى وعمل خيراً، فإنَّه يُعْجَبُ بنفسه، فيقول: «العُجْب درجات، منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبُه ويحسب أنَّه يُحسن صُنعاً، ومنها أن يؤمن العبد بربِّه فيمنَّ على الله تبارك وتعالى، ولله تعالى فيه المنّ»[2]، لأنَّه صلّى وصام وحجَّ بما أعطاه الله من قوّةٍ في جسده.

(١) الأعراف:٣٢.

(٢) الروضة، ص:١٩٨.



## محاسبة النفس

وورد عنه عليه السلام في بعض الروايات أنَّه قال: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلِّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه»، فكما تحاسب نفسك في آخر النهار على المستوى الماديّ، عليك أن تفكّر قبل أن تنام في كلِّ عملك ومواقفك وكلماتك، فإذا رأيت أنك عملت حَسَناً، دعوتَ الله أن يزيدك من هذا الحسن في أيامك القادمة، ليتحوّل إلى ملكة كامنة في النفس كطبيعة ثانية له، وإن رأيت أنَّك عملت سيئاً استغفرت الله وتُبت إليه لِتُصلح يومك القادم، فلا تكون فيه سيّئة، لأنَّ عالم السيئات هو ك«الميكروب» الذي لا بدَّ أن تكتشفه في بداياته لتتخلّص منه قبل أن يتجذّر ويمتدّ في الذات، فلا تتمكن من إزالته.

وفي حديث عنه عليه السلام يحدّد لنا ما هو العلم الذي يجب علينا أن نتعلّمه، وما هو العمل الذي يجب أن نمارسه في الحياة، فيقول: «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العملُ إلاّ به، وأوجب العلم عليك ما أنت مسؤولٌ عن العمل به، وألْزَمُ العلم لك ما دلَّك على صلاح قلبك وأظهر لك فسادَه، وأحمَدُ العلم عاقبةً ما زاد في علمك العاجل، فلا تشتغلنَّ بعلم ما لا يضرُّك جهلُه

ولا تغفلنَّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه».

وخلاصة القول، أنَّ الإمام عليه السلام يريد أن يبيّن لنا أنَّ هناك أشياء تتصل بحياتك ومسؤوليتك وعقيدتك، فهي مما يجب أن تتعلّمها، ومنها ما يتوقف عليه صلاح عملك من خلال توفر عناصر الصلاح في داخله، مما يتعلمه الإنسان من برامج إصلاح العمل، ومنها ما يتوقف عليه القيام بمسؤوليتك في تحويله إلى عمل، ومنها ما يفتح لك أبواب الوعي لما يصلح قلبك أو لما يفسده، لتتعرف منه كيف تصلح قلبك في الفكر والعاطفة والإحساس، وتبتعد عما يؤدي إلى فساده من ذلك كله، ومنها ما ينمي لك طاقتك العلميّة في حياتك، بحيث يترك تأثيره الإيجابي عليها. ثم يعطي الإمام النصيحة الأخيرة في القاعدة الحاكمة على مواقع العلم لدى الإنسان، فلا يتطلب العلم الذي لا علاقة له بمسؤولياته العقيدية والعملية، فلا يضره جهله به، ولا يبتعد عن العلم الذي يدخل في صلب مسؤولياته، بحيث يترك تأثيره السلبي على جهله به.. وخلاصة الفكرة في هذه الكلمة، أنّ قيمة العلم تتحدد بمقدار علاقته بالحياة وبالمصير، أما الأشياء التي لا دخل لها في العقيدة أو المسؤولية الشرعية، فَلِم تصرف وقتَك في الانشغال بها؟



## ضرورة الثقة بالنفس

ينبّه الإمام الكاظم عليه السلام إلى أنَّ الإنسان عندما يُحكم فكره ويُنضج رأيه ويؤكّد موقفه ويرى أنَّه مع الحقّ، فلا داعي لأن يستعير ثقته بنفسه من الناس، بل عليه أن يدرس نفسه، ويعرف رصيده في علمه وفقهه ووعيه ومواقفه، وعند ذلك يكون أعرفَ الناس بنفسه.. ففي حديث رواه الكشّي في رجاله عن حمدويه بن نصير قال: حدّثني محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس بن عبد الرحمن، قال: «قال العبد الصا لح. والمراد به الإمام الكاظم عليه السلام.: يا يونس ارفق بهم، فإنَّ كلامك يدقّ عليهم. قال: قلت: إنّهم يقولون لي: زنديق، قال لي: وما يضرُّك أن يكون في يدك لؤلؤة فيقول الناس هي حصاة، وما ينفعك أن تكون في يدك حصاة فيقول الناس إنّها لؤلؤة».

إنَّ الإمام الكاظم عليه السلام يريد لهم. في ما قاله ليونس. أن يرفقوا بالناس، فيأخذوا بأساليب البساطة، ليقرّبوا لهم الفكرة بالطريقة التي تتناسب مع عقولهم بعيداً عن كلِّ عناصر الإثارة وتبادل الاتهامات، لأنَّ المواجهة المباشرة، وإثارة العنف، قد تزيد الموقف تعقيداً، وقد تثير عصبياتهم بطريقة عدوانية، وتعمّق ضلالهم، وتحوّلهم إلى شخصيات هائجة من

مواقع الجهل والتخلّف.

وهذا ما عبّر عنه أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «لا يخدعنّك سواد الناس عن نفسك، لأنَّ الأمر يصل إليك دونهم»، أي لو أتى النّاس وضخّموا لك شخصيّتك، وقالوا أنت العظيم الذي ليس أحدٌ مثله، وأنت تعرف أنَّ علمك مثلاً أو موقعك يمثّل عشرةً أو عشرين بالمائة، فلا تنخدع بكلام النّاس، لأنَّك إذا خُدِعت ستسقط.. ونحن نقتدي بعليٍّ عليه السلام الذي كان إذا مدحه الناس يقول: «اللهم اجعلني خيراً مما يظنّون واغفرْ لي ما لا يعلمون»، فيعلّمنا عندما يمدحنا النّاس أن ننزل إلى داخل أنفسنا لنكتشف عيوبنا، وفي هذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: «اللهم لا ترفعني في النّاسِ درجةً إلاَّ حططتني عند نفسي مثلَها، ولا تُحدثْ لي عِزّاً ظاهراً إلاَّ أحدثْتَ لي ذِلّةً باطنةً عند نفسي بِقَدَرِها».

ومن هنا، فإنَّ الإمام الكاظم عليه السلام أراد للإنسان أن يدرس نفسه بنفسه، ليعرف موازين نفسه من نفسه لا من النّاس، لأنَّه هو الذي يعرف حجمَ فكره وطاقاته وطبيعة نواياه، سيئة أم حسنة، فالنّاس لا يعرفون الكثير من ذلك، فإذا فهم الإنسان نفسه، ورأى فيها خيراً وصدقاً، ورأى النّاس غير ذلك، فإنَّ هذا



لا يضرّه ولا يُسقطه ولو شتموه وسبُّوه، لأنَّه يشعر بالأصالة والقوّة والصلابة، وإذا رأى في نفسه غير ذلك ومدحه النّاس، وهو ليس بمستوى المدح، فإنَّه لا يعظِّم شخصيته أبداً.

## النهي عن الخوض مع الخائضين

جاء في الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام في ما أوصى به أحد أصحابه الفضل بن يونس قال: «أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن إمّعة، قال ما الإمّعة؟ قال لا تقل: أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّما هما نجدان (طريقان) نجد خير ونجد شرّ، فلا يكن نجد الشرّ أحبَّ إليكم من نجد الخير».

فلا ينبغي للإنسان أن يخضع في موقفه للجوِّ العام من حوله، ليكون مجرّد صدىً للآخرين في ما يقولونه أو في ما يتخذونه من الموقف، لأنَّ في ذلك انتقاصاً من كرامة عقله، وحطّاً من منزلة إنسانيته، وابتعاداً عن احترام إرادته، إذ لا معنى لخضوع الإنسان لقرارات الآخرين الذين لا يملكون

العصمة في فكرهم من دون أن يعرف الأساس في هذا القرار أو في هذا الموقف، ليكون على بيّنةٍ من أمره، عندما يكون على بيّنةٍ من ا لجذور الفكريّة لذلك الأمر.

إنَّ الإسلام، في ما يتحدّث به الإمام عليه السلام، لا يريد للإنسان أن يتهرّب من مسؤولية فكره في تحديد موقفه، وفي تأكيد قناعاته، بل يريد له أن يحرّكه في كلِّ موقع من مواقع الحركة في حياته، فإنَّ الله لم يجعل فكر الآخرين عذراً له إذا كان في موقع الخطأ.

ومن جهة أخرى، فإنَّ الله يريد للإنسان أن يربّي عقله، كما يربّي جسمه، حتى يستطيع بعقله أن يتحرّك في المواقع القياديّة للحياة، ليمنح الساحة من إبداعاته، وليفتح لها أبواب التقدّم والتطوّر في ما يمكن أن ينتجه فكرُه. وكما أراد للنّاس أن يفكّروا مع قياداتهم ومع النّاس الآخرين، فقد أراد للقيادة أن تفكّر مع النّاس، وذلك في ما نستوحيه من قوله تعالى لنبيِّه محمد صلى الله عليه وآله:

﴿وشَاوِرهم في الأمرِ فإذا عزمتَ فتوكّلْ على الله﴾ [1].

(١) آل عمران:١٥٩.



فإنَّ الظاهر أنَّ المقصود من ذلك، هو تعويد النبيِّ صلى الله عليه وآله لأصحابه بأن يفكّروا معه في ما يطرحه معهم من الأمور العامة أو الخاصّة، ليعتادوا على تحريك فكرهم، حتى يتعلّموا كيف يكونون قادةً للفكر في المستقبل.

وقد وضع الإمام الكاظم عليه السلام العنوان العام للمسألة في الدعوة إلى إبلاغ الخير للناس، وإلى قول الخير في واقع حياتهم، فلا معنى لأن يقول أنا مع الناس في ما يتحرّكون به، وأنا كواحد من الناس في ما يتخذونه من موقف، تماماً كما هي الورقة في مهبِّ الريح.

## حب العمل

رُوي في الكافي عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه، قال: «رأيت أبا الحسن عليه السلام - الكاظم - يعمل في أرضٍ له قد استنقعت قدماه في العَرَق، فقلت: جُعلت فداك، أين الرجال؟ فقال: يا عليّ قد عمل باليد مَن هو خيرٌ مني في أرضه ومن أبي، فقلت: ومَن هو؟ فقال: رسول الله وأمير المؤمنين عليه السلام وآبائي، وهو من عمل النبيين والأوصياء والصالحين».

إنَّ هـذه القضيّـة الـتي أثارهـا الإمـام الكاظـم عليه السلام بعملـه وكلامـه، تؤكّد القيمة الحية للعمل اليدوي في حياة الإنسـان المسـلم، أيّاً كان موقعه، فليس هناك شخصٌ يرتفع في منزلته الاجتماعية أو الدينيّة عن ذلك، بحيث لا يناسبه ذلك، لتكون المسـألة في موقعه أن يعهد بذلـك إلى غيره، فيبتعد عن جهد العمـل ونتائجـه القاسـية.. ومن هنـا، فإنَّ الإمـام عليه السلام يؤكّد أنَّ ذلـك من عمـل النبيين والأوصيـاء والصالحين، ما يجعله أساس القيمة الاجتماعية.

## الفقهاء أمناء الرُّسل

يحـدّد الإمام الكاظم عليه السلام الموقع الحقيقـيَّ للفقهاء، فيروي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله في مـا كان يحـدّث بـه أصحابـه، فيقـول: «الفقهـاء أمنـاء الرُّسُـل. هـم الأمنـاء علـى رسـالة الرسـل، يحفظونهـا ويبلّغونهـا للنـاس ويعرّفونهم كيف يمارسـونها. مـا لم يدخلـوا في الدنيا. دخـول الحريص عليها، المستسـلم لها، الخاضع لشهواتها وأطماعها، حتى يؤدّي به الأمر إلى أن يبيع رسالته من أجل أن يحصل عليها. قيل: يا رسول الله، ما دخولهم في الدنيا؟ قال: اتّباع السـلطان. وهو أن يكون العالم في خدمة السلطان الجائر، وأن يكون داخلاً في بطانته، ويؤيّد



حكمه وظلمه، ويمنحه الشرعيّة عند الناس. فإذا فعلوا ذلك فاحذروهـم علـى دينكـم»، لأنَّ الإنسـان الـذي يبيع رسـالته وموقفـه وخطّه لسـلطان جائـر ليقوى بذلك مُلكُـه وليدعم ظلمـه، فإنَّـه لا يكون مؤتمنَـاً على الديـن، لأنَّ الدين يرفض الظلم كلَّه وا لجور كلَّه.

## لا تستضعفوا أحداً ولا تسخروا منه

مثّـل الإمـام الكاظم عليه السلام قمّة التواضع، فـيُروى عنه أنَّه كان سائراً في الطريق، فرأى شخصاً مستضعفاً دميم المنظر، أسود اللون، فنزل وجلس معه يحادثه، وسأله إذا كان له حاجةٌ عنده أن يرجع إليه فيها، فاسـتنكر عليه أصحابه ذلك، وقالوا: «يا ابن رسـول الله، أتنزل إلى هذا وتسـأله عن حوائجه وهو إليك أحـوج. إنَّ هـذا الرجل محتاجٌ إليك أكثـر، فهو الذي يجب أن يأتيـك ويطلـب حاجته. فقال لهم: عبـدٌ من عبيد الله وأخٌ في الله.. يجمعنـا وإيّاه خـيرُ الآباء آدم، وأفضل الأديان الإسـلام، ولعـلّ الدهـر يـردُّ مـن حاجتنا إليـه، فيرانا بعـد الزهو عليه متواضعين بين يديه».

كأنَّـه عليه السلام يريـد أن يعطيهـم درسـاً، بـألاَّ يسـتضعفوا أحداً

ولا يسخروا من أحد، وألا تكون قضية احترامهم للناس وتواضعهم لهم على أساس ما يملكون من ثروةٍ ومن موقع اجتماعي أو سياسيّ، كأنَّه يقول لهم: تواضعوا لإنسانية الإنسان، وحاولوا أن تعيشوا مع النّاس، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعيش مع النّاس كواحدٍ منهم، لا يميّزه شيءٌ عنهم، وهو سيِّدُ وُلْد آدم عليه السلام.

## لا تصدق كل ما يُقال لك

رُويَ عن أحد أصحابه أنَّه قال له: «جُعلت فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه. أسمع عنه شيئاً مكروهاً لا يعجبني. فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قومٌ ثقاةٌ، فقال عليه السلام: يا محمّد، كذّب سمعك وبصرَك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسّامة. يقسمون ويحلفون بالله. وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم، لا تذيعنَّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته. فلا تنقل ما تسمع عنه لتُسقط أخاك بين الناس ــ فتكونَ من الذين قال الله في كتابه: ﴿إنَّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا



والآخرة﴾[1] والفاحشة هي كلُّ ما تجاوز الحدَّ مما لا يرضاه الله تعالى.

## الصبر على الحسد

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام وهو يشير إلى الذين يحسدون غيرهم، لأنَّ الله تعالى أعطاهم من النِعَم ما لم يعطهم، ويحقدون عليهم، لأنَّ الله جعل لهم فضلاً لم ينعم عليهم به: «اصبر على أعداء النِعَم. هؤلاء الذين يعادون نِعَم الله عليك، فيتعقّدون منها ويحاولون أن يثيروا الحقد في أنفسهم ضدّك، فإنَّ من يحقد عليك، إنَّما يحقد على نعمة الله التي أنعمها عليك مما أعطاك الله من علم أو كرم أو خُلُق، أو ما إلى ذلك. فإنَّك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه. فهو قد عصى الله فيك، فحقد عليك وحسدَك، فأطِع الله فيه، بأن تكظم غيظك. بكظم الغيظ والعفو عنه، فتكون من المحسنين»[2].

---

(١) النور:١٩

(٢) الكافي، ج:٢، ص:١١٧.

## الزيارة لوجه الله تعالى

وعن أبي حمزة، قال: «سمعت العبد الصالح الإمام الكاظم عليه السلام يقول: من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله وينجز ما وعد الله. فالزيارة على قسمين، فتارةً تزور أخاك لغرض في نفسك، أي زيارة تجارية أو مصلحيّة نفعيّة، أو لتحصل على مكسب من خلال زيارتك له، وتارةً تزوره قربةً إلى الله تعالى من أجل أخوّة الإيمان بينك وبينه. وكّل به سبعين ألف مَلَك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه، فينادونه: ألا طبتَ وطابت لك الجنّة، تبوّأت من الجنّة منزلاً»[1].

## صفة الشيعيّ

ويوجّه عليه السلام كلامه إلى شيعته، محدّداً صفة الشيعي الذي يمثّل النموذج الذي يحبه الله ورسوله وأهل بيته، فيقول: «ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدَّرات بورعه في خدورهنّ. فالذي يصل إلى مرتبة من الورع عن الحرام في قوله وفعله وعلاقاته وموقفه، بحيث إنَّ أمره ينتشر بين الناس، حتى أنَّ

(١) الكافي، ج:٢، ص:١٨٥.



المخدّرات المحجبات اللاتي لا يتحرّكن في المجتمع، تصلهنّ أخبارُ ورعه، بحيث يتحدثن عن هذا الورع. وليس من أوليائنا من هو في قريةٍ فيها عشرة آلاف رجل فيهم مِن خَلْقِ الله مَن هو أورع منه»[1].

ومن هنا نعرف أنَّ التشيّع ليس كلمةً وعاطفة ودمعة وحسب، وإن كان لذلك كلّه دور، ولكنَّ التشيّع هو كما قال الإمام الباقر عليه السلام: «والله ما شيعتنا إلاَّ من اتّقى الله وأطاعه وكانوا يُعرَفون بالتواضع والتخشّع وصدق الحديث وأداء الأمانة، وكانوا أمناء عشائرهم».

(١) المصدر نفسه، ج:٢، ص:٨٤.

## قبل الختام

نختار ممّا قاله الإمام الكاظم (عليه السلام) أحاديث ووصايا بصدد محاسبة النفس ومعالجة المظاهر السلبية للفرد والمجتمع والتي لو التزم بها الإنسان فسيكون في مأمن من همزات الشيطان ليصبح أنموذجا يحتذى به في المجتمع:

١. «إنّ العاقل الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره».

٢. «من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان هواه على هدم عقله».

٣. «من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه».

٤. «رحم الله من استحيا من الله حقّ الحيا، فحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وذكر الموت والبِلى وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات».

٥. «من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس».



٦. «من لم يعمل بالخطيئة أروح هماً ممّن عمل الخطيئة، وإن أخلص التوبة وأناب».

٧. «إنّ صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقّرها لكم ويصغّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر وتحيط بكم».

٨. «إنّ الله حرّم الجنة على كلّ فاحش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه».

## وأخيرا..

هذه بعضٌ من حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) ومواقفه وكلماته، هذا الإمام الذي كان من ألقابه أنَّه باب الحوائج إلى الله، فنحن نعرف أنَّ الكثيرين من الناس الذين يقصدونه ليتوسّلوا إلى الله بكرامته تُقضى حوائجهم من الله تعالى ببركته (عليه السلام)، فهو صاحب الكرامات الخالدة، وكاظم الغيظ الذي كان منفتحاً حتى على الذين أساؤوا إليه، وكان له أسلوبه في اجتذاب أعدائه إلى محبته من خلال كرم أخلاقه والروحانية العالية التي عاشها، واستطاع بهذا أن يحصل على ثقة الناس كلّهم ومحبتهم، لأنَّه عاش (عليه السلام) حياته نفعاً لهم في قضاياهم

الروحيّة والعلميّة والاجتماعية والسياسية.

ونحن إذ نستذكره عليه السلام، فلكي ننفتح على إمامته في خطِّ تعاليمه ووصاياه وروحانيته وعصمته، لنزداد من خلال معرفتنا به التزاماً بخطِّ أهل البيت عليهم السلام وبإخلاصهم وتضحياتهم في سبيل الله وبمواقفهم أمام الطاغوت.

السلام على المعذّب في قعر السجون وظلم المطامير
ذي الساق المرضوض بحلق القيود



## الفهرس

المقدمة.....٣
الأسلوب الأول .....٦
الأسلوب الثاني .....٨
الأسلوب الثالث .....٩
الأسلوب الرابع.....١٠
الأسلوب الخامس .....١١
طاعة الله .....١٢
محاسبة النفس .....١٣
علم الناس .....١٤
إدارة الوقت .....١٧
محاسبة النفس .....١٩

ضرورة الثقة بالنفس .....٢١

النهي عن الخوض مع الخائضين .....٢٣

حب العمل .....٢٥

الفقهاء أمناء الرسل .....٢٦

لا تستضعفوا أحداً ولا تسخروا منه .....٢٧

لا تصدق كل ما يقال لك .....٢٨

الصبر على الحسد .....٢٩

الزيارة لوجه الله تعالى.....٣٠

صفة الشيعي .....٣٠

قبل الختام .....٣٢

وأخيراً .....٣٣